الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام
بين السرية والجهرية والفردية

-دراسة تحليلية-

إعداد

محمد يونس حسن حسن عيسى

مدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

وبعد،،

يتكون هذا البحث الموسوم بعنوان الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام بين السرية والجهرية والفردية دراسة تحليلية.. من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث.

بينت فيهم معنى كلمة السر في اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأوضحت واقع الدعوة الإسلامية في المرحلة المعروفة بالمرحلة السرية داخل البيت النبوي الشريف وخارجه..

كما أوضحت واقعها داخل مكة وخارجها. واستشهدت على عدم وجود هذه الفترة بأن الذين انتسبوا إلى الإسلام في هذه الفترة ينتمون إلى جميع بطون قريش مما يدل على إذاعة أمر النبي بين الخاصة والعامة..

ونفيت وجود هذه المرحلة لظهور جماعات على الساحة الدعوية ينسبون أنفسهم إلى الإسلام وهو منهم براء كتنظيم القاعدة وداعش والنصرة والتكفير والهجرة وغيرهم يخربون ولا يعمرون.. وقد اتخذت من هذه المرحلة أساسا يقيمون عليها تنظيماتهم..

وأوصى البحث باستخدام العقل الموضوعي في المسائل المطروحة على الساحة الدعوية وخاصة إذا كانت لا تتعلق بالعقيدة.. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل..

The Islamic story in Islam

Confidentiality, confidentiality and individuality

–An analytical study–

Preparation

Muhammad Younis Hassan Hassan Issa

Writer in the Islamic News Department

Faculty of Fundamentals of Religion in Cairo, Al-Azhar University

Abstract:

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful, and may blessings and peace be upon the Messenger of God, our Master Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, his family and companions, and those who follow them in righteousness until the Day of Judgment... and after.. This research, titled Islamic Dawa in the Early days of Islam, between secrecy, publicity, and individualism, consists of an analytical study... of an introduction, a preface, and four sections... I explained to them the meaning of the password in the Arabic language, the Holy Qur'an, and the Noble Prophet's Sunnah... and explained the reality of the Islamic call in the stage known as the secret stage

inside and outside the Noble Prophet's House. It also explained its reality inside and outside Mecca. She cited the absence of this period by saying that those who joined Islam during this period belonged to all clans of Quraysh, which indicates that the Prophet's command was broadcast among the elite and the public. This stage was denied due to the emergence of groups on the proselytizing scene who attribute themselves to Islam, of which they are innocent, such as Al-Qaeda, ISIS, Al-Nusra, Takfir, Al-Hijra, and others who destroy and do not rebuild. This stage was taken as a basis on which to base their organizations. The research recommended using objective reason in the issues raised in the advocacy arena, especially if they are not related to doctrine.. God is behind the intention and He is the guide to the right path..

المقدمة

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد-ﷺ- وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،،،،

فقد فضل الله-ﷻ- الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات بأن وهب له عقلا يميز به الأمور، ويزن به الأشياء، ويعرف به الحق من الباطل، ويفرق من خلاله بين الصالح والطالح؛ فإنه مناط التكليف؛ ولذا فإن القلم رفع عن الصبيّ ومن غاب عقله(المجنون) وقد أمرنا الله تعالى باستخدامه كآلة للتفكير في كافة القضايا والأمور المطروحة على الساحة(دينيا ودنيويا) وخاصة إذا كانت قابلة للمناقشة والحوار، قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) النساء: ٨٣.

ومن ثمّ فقد قمت بالدراسة في قضية قد رسخت في ذهن القاصي والداني، وارتكزت في فكر الخاصة والعامة من المسلمين، مما يؤكد أنها طريق قد يستوعره البعض؛ لاشتمالها على الكثير من النتوءات الوعرة؛ والأشواك الصعبة؛ والتي يشق على الإنسان اجتيازهما؛ ويصعب عليه أن يزحزحهما أو يزيلهما من أماكنهما، ولذا كان توفيق الله لي في أن أتناول هذه القضية الشائكة والشيقة في ذات الوقت وهي: الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام بين السرية والجهرية والفردية -دراسة تحليلية-، لمعالجتها في ضوء كتاب ربنا وسنة نبينا-ﷺ- وما كتبه أئمة السيرة والتاريخ، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أولا: أهمية الدراسة: تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في أمور عدة من أهمها ما يلي:

١. الوقوف على تاريخ الدعوة الإسلامية منذ اللحظة الأولى لبيان حالها آنذاك؛ حيث فشا بين كثير من العلماء الأجلاء الأفذاذ على مدى التاريخ وحتى الآن أن الدعوة الإسلامية مرت بمرحلتين أساسيتين (السرية ثم الجهرية).

٢. يعد هذا البحث محاولة لإبراز دور الصحابة الكرام وما عانوه في نشر الدعوة الإسلامية خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الدعوة.

٣. تقديم النموذج القدوة من الصحابة الكرام في مجال تبليغ ونشر الإسلام.

ثانيا: تساؤلات الدراسة: تحاول هذه الدراسة أن تجيب على مجموعة من الأسئلة أهمها ما يلي:

١. ما مفهوم الدعوة السرية.

٢. هل مرت الدعوة الإسلامية بمرحلتين (السرية ثم الجهرية).

٣. ما مدى صحة ما نقل حول مرحلة الدعوة السرية في تاريخ دعوة الإسلام.

ثالثا: إشكاليات الدراسة: تدور هذه الدراسة حول تحرير مصطلح الدعوة السرية مفهوما وتطبيقا، ومدى ما أحدثه نقل هذا المصطلح في كتب السير والتاريخ والتفسير على مدى الدهر والزمان (قديما وحديثا) على أفكار المنتسبين للعمل الدعوي إيجابا وسلبا ليكون دليلا على اتجاهاتهم الحركية؛ ومن ثم كان البحث في هذه القضية.

رابعا: أسباب اختيار الموضوع: تجمعت أسباب عدة دفعتني للكتابة في هذا الموضوع من أهمها ما يلي:

١. أن ما نقل من القول بسرية الدعوة أدى إلى إشكاليات كبرى واجهت الدعوة الإسلامية من أخطرها ظهور الجماعات المتطرفة على الساحة الدعوية المنتسبة للإسلام[١] والتي اتخذت المرحلة الموسومة بالسرية مستندا لها في بداية تنظيماتها السرية زعما منها بأن أية دعوة لا بد لها من المرور بمرحلتين(السرية ثم الجهرية) فكان من الواجب بيان بطلان هذا الزعم، والعمل على الحد من تكوين تلك الجماعات التي أساءت إلى الإسلام لاتخاذها إياه ستارا وحجابا لأفعالها القبيحة من قتل ونهب وسلب وتكفير للحكام والمحكومين، علاوة على أنها تمتلك أدوات لتخريب المنشآت الحكومية والعامة والخاصة والعمل على هدمها وإبادتها....إلخ.

٢. تقديم الأدلة الدامغة، والبراهين الساطعة لإثبات جهرية الدعوة الإسلامية منذ اللحظة الأولى، وذلك بالوقوف على الحقائق والوقائع التاريخية فضلا عن حال المنتسبين الأول للإسلام وما حلَّ بهم من البلاء الدائم على الملأ لا الخفاء.

خامسا: الدراسات السابقة: بعد البحث والتنقيب لم أقف وذلك –على حد علمي– على دراسة بهذا العنوان: **الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام بين السرية والجهرية والفردية –دراسة تحليلية–.**

((١)) ك(تنظيم القاعدة، وداعش، والتكفير والهجرة، والنصرة، وأنصار الشريعة، والناجون من النار، وحزب الله....إلخ). ينظر: الإخوان المسلمون وعلاقتهم مع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، إعداد: كبوري عمر، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، مسابقة: كن واعيا للعام الجامعي(١٤٤٠هـ)، ص(٢٤).

سادسا: منهج البحث: اعتمدت في معالجتي لمسائل هذا البحث على المنهج الاستقرائي[١] وقد مزجتُ بينه وبين المناهج الأخرى كالمنهج التاريخي[٢]، والمنهج الاستنباطي[٣] إذ الفصل بين المناهج العلمية في البحث العلمي من الصعوبة بمكان.

سابعا: أهداف الدراسة: يهدف البحث في دراسته للدعوة الإسلامية خلال السنوات الثلاث الأولى من البعثة المحمدية إلى الآتي.

١. الوقوف على المعنى الدقيق لمصطلح الدعوة السرية، وبيان هل كانت وسيلة لنشر الإسلام، وهل مارسها النبي-ﷺ- ومن ثم يجب على اتباعه ممارستها أم لا.

٢. تصويب ما نقل حول مصطلح الدعوة السرية، وتقديم الأدلة الدامغة لبيان أن الدعوة الإسلامية كانت جهرية منذ بدايتها واستمرت هكذا خلال السنوات الثلاث الأولى وحتى لحوق النبي-ﷺ- بالرفيق الأعلى.

((١)) المنهج الاستقرائي: هو الذي ينتقل الذهن فيه من الأمور أو القضايا الجزئية إلى القضايا أو المفاهيم أو التصورات أو المعاني الكلية. انظر: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث لعبدالفتاح محمد العيسوي وعبد الرحمن محمد العيسوي، ص(١٧)، ط: دار الراتب الجامعية بيروت، بدون رقم للطبعة(١٩٩٦م).

((٢)) المنهج التاريخي: هو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعا لما تركه من آثار أيا كان نوع هذه الآثار. مناهج البحث العلمي: د. عبدالرحمن بدوي، ص(١٩)، ط: وكالة المطبوعات-الكويت، الطبعة الثالثة(١٩٧٧م).

((٣)) المنهج الاستنباطي: هو الذي ينتقل الذهن فيه من الأمور الكلية إلى الأمور أو القضايا الجزئية. انظر: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث لعبدالفتاح محمد العيسوي وعبد الرحمن محمد العيسوي، ص(١٧) مرجع سابق.

ثامنا: خطة البحث: يتضمن هذا البحث: مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على التالي:

- **أهمية الدراسة.**
- **تساؤلات الدراسة.**
- **إشكاليات الدراسة.**
- **أسباب اختيار الموضوع.**
- **الدراسات السابقة.**
- **منهج البحث.**
- **أهداف الدراسة.**
- **خطة الدراسة.**

المبحث الأول: مصطلح الدعوة السرية لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: مفهوم الدعوة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مفهوم السر لغة واصطلاحا.

المطلب الثالث: مفهوم مصطلح الدعوة السرية باعتبار التركيب.

المبحث الثاني: صور السر في ضوء مصادر الدعوة الإسلامية الأصيلة(الكتاب والسنة).

المطلب الأول: السر الفردي.

المطلب الثاني: السر الثنائي.

المطلب الثالث: السر الجماعي.

المبحث الثالث: نقض ثقافة الدعوة السرية في ضوء الحقائق التاريخية للدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى.

المطلب الأول: الدعوة في البيت النبوي عبر السنوات الثلاث الأولى من تاريخ الدعوة الإسلامية بين السرية والجهرية.

المطلب الثاني: الدعوة خارج البيت النبوي عبر السنوات الثلاث الأولى من تاريخ الدعوة الإسلامية بين السرية والجهرية.

المبحث الرابع: نقض ثقافة الدعوة السرية في ضوء الوقائع التاريخية المؤكدة لجهرية الدعوة في السنوات الثلاث الأولى.

المطلب الأول: وقائع الدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى من البعثة المحمدية في نطاق مك المكرمة.

المطلب الثاني: وقائع الدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى من البعثة المحمدية خارج نطاق مك المكرمة.

المبحث الخامس: أثر القول بالدعوة السرية على الدعوة الإسلامية في الواقع المعاصر.

أما الخاتمة: فتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مصطلح الدعوة السرية لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: مفهوم الدعوة لغة واصطلاحا.

١. الدعوة في اللغة: تعود كلمة الدعوة إلى الجذر اللغوي الثلاثي (د ع و) فالدال والعين وحرف العلة الواو أصل في بنية الكلمة، وقد وردت في معاجم اللغة العربية بمعان عدة، حيث جاء في الصحاح(دَعَوْتُ الله له وعليه دُعاءً، والدُعاءُ: واحد الأدْعِيَة)[١]، وفي المصباح المنير (دَعَوْتُ زَيْدًا نَادَيْتُهُ وَطَلَبْتُ إقْبَالَهُ، وَدَعَا الْمُؤَذِّنُ النَّاسَ إلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ دَاعٍ إلى اللَّهِ، وَالْجَمْعُ دُعَاةٌ وَدَاعُونَ، ودَعَوْتُ الْوَلَدَ زَيْدًا وَبِزَيْدٍ إذَا سَمَّيْتَهُ بِهَذَا الِاسْمِ، ودَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ الْخَيْرِ)[٢].

وبالرجوع إلى دلالة منطوق الكلمة في القرآن الكريم وتفسيره من جانب آخر يتضح أنها من الألفاظ المشتركة والذي يحدد معناها هو السياق، ومن معانيها ما يلي:

---

(١)) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج(٦/٢٣٣٧).

(٢)) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى:٧٧٠هـ)، ط: المكتبة العلمية – بيروت، بدون رقم للطبعة وتاريخ، مادة: دعا، ج(١/١٩٤).

أ. **التبليغ والنشر**، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[١] أي (أيها النبي-ﷺ-: ادع إلى طريق الحق الذى شرعه ربك مع قومك)[٢].

ب.**الدين الحق**، قال تعالى: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)[٣] أي (دين الْحق شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَهِي كلمة الْإِخْلَاص)[٤].

ت. **النداء والطلب**، قال تعالى: (وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ)[٥] أي (نقول للمشركين: نادوا الآلهة والأنداد التي عبدتموها، وجعلتموها شركاء لله ووعدتم أنفسكم بنصرتها لكم من عذاب الله)[٦].

---

(١) سورة النحل، جزء من آية رقم(١٢٥).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، تأليف: لجنة من علماء الأزهر، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر(١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص(٤٠٧).

(٣) سورة الرعد، جزء من آية رقم(١٤).

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، ط: دار الكتب العلمية – لبنان، بدون رقم للطبعة وتاريخ، ص(٢٠٦).

(٥) سورة الكهف، جزء من آية رقم(٥٢).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى(١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ج(٦/٤٤٠٦).

ث.التسمية، وقال تعالى: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)[١] أي (بأي أسمائه جل جلاله تدعون ربكم، فإنما تدعون واحدا، وله الأسماء الحسنى)[٢].

ج. العبادة، قال تعالى: (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)[٣] أي (إني نهيت بما أكرمت من العقل واللب أن أعبد الذين تعبدون من دون الله)[٤].

ح. الدعاء، قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ)[٥] أي (وَإِذَا سَأَلُوا عَنْ حَقِّهِمْ عَلَيَّ فَإِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ أُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ)[٦].

---

(١) سورة الإسراء، جزء من آية رقم(١١٠).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى(١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م)، ج(١٧/٥٨٠).

(٣) سورة الأنعام، جزء من آية رقم(٥٦).

(٤) تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة) (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج(٤/٩٧).

(٥) سورة البقرة، جزء من آية رقم(١٨٦).

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، بدون رقم للطبعة(١٩٨٤هـ)، ج(٢/١٧٨).

خ. التضرع والابتهال، قال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)[١] أي (أَنَّ الْمُضْطَرَّ هُوَ الَّذِي أَحْوَجَهُ مَرَضٌ أَوْ فَقْرٌ أَوْ نَازِلَةٌ مِنْ نَوَازِلِ الدَّهْرِ إِلَى التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّه تَعَالَى)[٢].

د. النسب، قال تعالى: (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا)[٣] أي جعلوا له ولدا .

ذ. السؤال، قال تعالى: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ)[٤] أي سل ربك[٥].

ر. الأمر، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)[٦] أي (إذا دعاكم إلى إحياء، أمركم بالجهاد؛ لأن أمرهم إنما يقوى به)[٧].

---

(١) سورة النمل، جزء من آية رقم(٦٢).

(٢) مفاتيح الغيب للإمام الرازي(المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة(١٤٢٠هـ)، ج(٢٤/٥٦٥).

(٣) سورة مريم، آية رقم(٩١).

(٤) سورة البقرة، جزء من آية رقم(٦٨).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان التوزي (المتوفى: ٣٠٨ هـ)، ط: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج(١/٥٦).

(٦) سورة الأنفال، جزء من آية رقم(٢٤).

(٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي(المتوفى: ٤٦٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى(١٤١٥هـ /١٩٩٤م)، ج(٢/٤٥٢).

ز. **الحث والتحريض على فعل شيء حقا كان أم باطلا**، قال تعالى: (وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ)[١].

س. **الاستعانة والاستغاثة**، قال تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين)[٢] أي واستعينوا بالآلهة[٣].

٢. الدعوة في الاصطلاح: لقد اختلف العلماء حول تحديد المعنى الدقيق لتلك الكلمة اختلافا واسعا وذلك لاشتمال جوهرها ولبها على أكثر من معنى، فقد يراد بها مضمون الدين، أو نشره وتبليغه، أو الطرق المفضية إليه، ومن ثم كان الضابط في تحديد المعنى المراد هو مقصود المعرّف من كلمة دعوة، ومن هذه التعريفات الاصطلاحية ما يلي:

فمن الأول: هي (الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحيا على رسوله وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية)[٤].

---

(١) سورة غافر، آية رقم(٤١).

(٢) سورة البقرة، آية رقم(٢٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان التوزي، ج(٣٧/١).

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها للدكتور/ أحمد غلوش، ط: دار الكتاب المصري–القاهرة، دار الكتاب اللبناني–بيروت، الطبعة الثانية(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص(١٢ وما بعدها).

ومن الثاني: هي (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة)[١].

ومن الثالث: هي (العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)[٢].

المطلب الثاني: مفهوم السر لغة واصطلاحا.

١. السر في اللغة: بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية تبين أن السر هو: (الَّذِي يُكْتَمُ وَجَمْعُهُ "أَسْرَارٌ" وَالسَّرِيرَةُ: مِثْلُهُ وَجَمْعُهَا "سَرَائِرُ"، وَأَسَرَّ إِلَيْهِ حَدِيثًا أَيْ أَفْضَى إِلَيْهِ بِه، وَسَارَّهُ فِي أُذُنِهِ مَسَارَّةً، وَسِرَارًا بِالْكَسْرِ)[٣].

٢. السر في الاصطلاح: وردت كلمة(السِّرِ) في(الكليات) وأُرِيدَ بها: (ما يُكْتَمُ كالسَرِيرَةِ، وَمَا يَسُرُّهُ الْمَرْءُ فِي نَفْسِه من الْأُمُورِ الَّتِي عَزَمَ عَلَيْهَا هُوَ السِّرّ، وأما الْإِخْفَاءُ فَهُوَ الَّذِي لم يَبْلُغْ حَدَّ الْعَزِيمَةِ)[٤].

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني، ط: مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص(١٧).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها – د. أحمد غلوش، ص(١٠) مرجع سابق.

(٣) انظر: مختار الصحاح للإمام الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة(١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، باب: السين، مادة: سرر، ص(١٤٦). ويراجع: لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة(١٤١٤هـ)، حرف: الراء، فصل: السين المهملة، ج(٤/٣٥٦ وما بعدها).

(٤) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي(المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ، فصل: السين، ص(٥١٤).

وقيل: (السِّرُّ جَمعُ سَرِيرَةٍ، وهي خَاطِرُ النَّفْسِ، ومَا تَسُرُهُ أي تَكْتُمُه، وعليه فإنَّ السِّرَ هو الحَدِيثُ المُكْتَتَمُ فِي النَّفْسِ)[١].

وبناء على ما سبق يتضح: أن كلمة سر في اللغة والاصطلاح لا تكاد تخلو في جوهرها ولبها من الحديث الذي يكتمه الإنسان في قرارة نفسه، وما يجول في باطنه وخاطره، وإذا باح به إلى غيره أملى عليه الكتمان، وحذره من الإفشاء وإلا فلا يعتبر الأمر سرا، يقال: (أبحته سرا فباح به، ورجل مذياع ومشياع، وفُرُجُ وفِرْج، وبَذِير وبَذُور ومِبْذار، وهَرِيت أي لا يكتم سرا)[٢] ويؤكد ذلك قول الله تعالى: (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور)[٣].

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ط: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة الأولى(١٤١٠هـ–١٩٩٠م)، باب: السين، فصل: الراء، ص(١٩٣).

(٢) انظر: المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٧هـ ١٩٩٦م)، ج(٢٨٦/١).

(٣)() سورة الملك، آية رقم (١٣).

المطلب الثالث: مفهوم مصطلح الدعوة السرية باعتبار التركيب.

لقد فشا بين الكثير من أهل العلم والاختصاص الأجلاء وخاصة كتّاب السير والمفسرين والمؤرخين في أرجاء المعمورة على مدى الدهر والزمان وحتى الآن أن الدعوة الإسلامية كانت في مبتدأ البعثة النبوية سرية[١] تامة واستمرت هكذا مدة ثلاث سنوات حتى أُمر الرسول-ﷺ- بإنذار عشيرته وأقاربه من حوله، والصدع بها على الملأ غير مكترث بازدراء واستهزاء وإيذاء قومه له، مستدلين على ذلك بما ورد في كتب السنة عن أبي هريرة[٢]-رضي الله عنه- قَالَ: (قَامَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ-جل جلاله- "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ"[٣]، قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،

---

(١) انظر: السيرة لابن إسحاق (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: محمد حميد الله، ط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف بالمغرب، بدون تاريخ، ج(١١٨/٢). وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى(١٤١١هـ)، ج(٨١/٢ وما بعدها). وانظر: أعلام النبوة للماوردي(المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: دار الكتاب العربي–بيروت، الطبعة الأولى(١٩٨٧م)، ص(٢٧٥). وانظر: البداية والنهاية لابن كثير(المتوفى: ٧٧٤هـ)، ط: دار الفكر، بدون رقم للطبعة: (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج(٢٤/٣). وانظر: الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، ط: دار الهلال –بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص(٦٥). وغيرهم خلق كثير....

((٢)) هو أبو هريرة الدوسي، اختلف في اسمه اختلافا كثيرا، فقيل: عبدالله بن عامر، ويقال: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله-ﷺ- ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم فدعا له رسول الله-ﷺ- فأصبح أكثر الصحابة رواية للحديث، وكان من أصحاب الصفة، توفي سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام ابن الأثير الجزري المتوفي سنة(٦٣٠هـ)، ط: دار الفكر –بيروت– لبنان، بدون رقم للطبعة(١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، حرف: الهاء، ج(٣١٩/٥)، رقم(٦٣١٩).

(٣) سورة الشعراء، آية رقم(٢١٤).

وَيَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)[١].

ومن خلال القراءة المتأنية في المصادر الأصيلة والتي لها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من ذات الموضوع أجزم بأن المراد بالدعوة السرية: الكتمان والاستسرار أي عدم إذاعة الأمر وإشاعته حتى وإن كان من قبيل كلام الرجلِ الرجلَ سرا، ومما يعضد ذلك ويؤكده ما ورد في السيرة النبوية لابن إسحاق(ثم كان-ﷺ- هو وخديجة يصليان سرا)[٢]، وقد أورد في موضع آخر(ثم إن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان فقال علي: ما هذا يا محمد، فقال النبي-ﷺ- دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله-ﷺ- أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له يا علي: إذا لم تسلم فاكتم)[٣].

وفي السيرة النبوية لابن هشام:("وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث أي أذكرها وادع إليها، فجعل رسول الله-ﷺ- يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله)[٤]، وقد سار على دربهما كتاب السير والمفسرين والمؤرخين الذين أتوا

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الوَصَايَا، بَابُ: هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالوَلَدُ فِي الأَقَارِبِ؟، ط: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى(١٤٢٢هـ)، ج(٦/٤)، ح ر(٢٧٥٣).

(٢) السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(١١٧/٢) مرجع سابق.

(٣) السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(١١٨/٢) مرجع سابق.

(٤)السيرة النبوية لابن هشام، ج(٨١/٢ وما بعدها) مرجع سابق.

بعدهما، ومن ثمّ كان من الواجب القيام بدراسة تلك القضية من جميع الجوانب والجهات للصدع بين الحقيقة والمنقول، وعرض الحقائق والوقائع والأحداث التاريخية التي تبطل هذا الزعم المنقول.

المبحث الثاني: صور السر في ضوء مصادر الدعوة الإسلامية الأصيلة (الكتاب والسنة).

إن الذي يسبح بفكره العميق في آي الذكر الحكيم، وأحاديث النبي الأمين- ﷺ- المتطلع لاستنباط خبايا الكلمات القرآنية والأحاديث النبوية، وما توارى بداخلهما من معان والتي لا شك أن بينهما وبين اللغة العربية وئام تام؛ يستشف أن السر لا يكاد يخلو من معان ثلاثة وهي موضحة كما في المطالب الآتية:

المطلب الأول: سر فردي أو شخصي (الحديث المكتتم في النفس):

إذا حدّق الإنسان بصره في مصادر الشريعة الإسلامية، وعلومها(اللغة العربية، التفاسير، شروح الحديث...إلخ) التي اهتمت بالنص الإلهي المقدس، والنبوي المشرف اهتماما بالغا يدرك أنها نوهت على أن السر قد يكون فرديا يكتمه الشخص بين جنباته، ويخفيه بين أنفاسه، وبالتالي لا يبوح به لنفسه ناهيك عن غيره، ومما يؤيد ذلك قول الله تعالى: (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1]، وقوله تعالى: (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)[2]، وقوله تعالى: (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)[3] أي يعلم

(١) سورة البقرة، آية رقم(٢٨٤) ويراجع: آل عمران: ٢٩. النساء: ١٤٩، ٢٣٥. الأنعام: ٣. التوبة: ٧٨. الرعد: ١٠. إبراهيم: ٣٨. الأحزاب: ٥٤. الزخرف: ٨٠. الملك: ١٢.

(٢) سورة يوسف، آية رقم(٧٧).

(٣) سورة طه آية رقم(٧).

ما أسررت به وحدثت به نفسك، (وَأَخفَى): ما علم الله أنه كائن، ولم يكن بعد، ولم تعلم به[١].

وأيضا وردت هذه اللفظة في السنة النبوية وأُريد بها ما سبق بيانه وما سلف ذكره، ففي الصحيح عن ابْنَ عَبَّاسٍ[٢]-رضي الله عنه- قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ-ﷺ- إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قَالَ: اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ)[٣].

المطلب الثاني: سر ثنائي:

إن السر قد يكون بين فردين وحرصا الحرص كله واتفقا فيما بينهما وعزما على كتمانه لئلا يتعداهما إلى غيرهما لا من قريب ولا من بعيد مهما كان، طال الزمان أم قصر، وفي ذلك نذكر قول الله تعالى: (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)[٤].

---

(١) انظر: تفسير الماتريدي(المتوفى: ٣٣٣هـ)، ج(٧/ ٢٧٠) مرجع سابق.

((٢)) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله-ﷺ-، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله-ﷺ- وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وكان يسمى البحر لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين، وقيل: إحدى وسبعين سنة، وقيل: مات سنة سبعين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين. وهذا القول غريب. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام ابن الأثير، باب: العين والباء، ج(٣/ ١٨٦، ١٩٠)، رقم(٣٠٣٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابُ: التَّهَجُّدِ، بَابُ: التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ، ج(٢/ ٤٨)، جزء من ح ر(١١٢٠).

(٤) سورة التحريم، آية رقم(٣)، ويراجع: المجادلة ٧. وفي الصحيح أن النبي-ﷺ- أسر إلى السيدة حفصة-رضي الله عنها- بأمر واستكتمها إياه ورغم ذلك أفشته إلى السيدة عائشة-رضي الله عنها- وهو

وعن السيدة عَائِشَةَ[1]-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: (أَقْبلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ-ﷺ-، فَقَالَ النَّبِيُّ-ﷺ-: مَرْحَبًا يَا ابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ-ﷺ- حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ-ﷺ-، فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ؟ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ)[2].

الأكثر. وقيل: أن النبي-ﷺ- شرب عسلا عند بعض أزواجه فتواطأت السيدة عائشة مع السيدة حفصة- رضي الله عنهما- أنه إذا دخل على أيتهما أولا قالت: أكلت مغافير، فقال: لا، بل شربت عسلا.... ومن ثم فإن المراد بالسر في تلك القصة هو تحريم العسل، وهو الصحيح لورودها في الصحيحين، فقد روي عَنْ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ- يَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَن أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا، فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لاَ تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابُ: التَفْسِيرِ، سُورَةُ التَّحْرِيمِ، ج(١٥٦/٦)، ح ر(٤٩١٢) مرجع سابق.

((١)) هي عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وأمها أم رومان بنت عمر بن عامر، ولدت بمكة في الإسلام، بعد البعثة بأربع أو خمس سنوات، وتزوجها النبي-ﷺ- وهي بنت ست أو سبع سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين، وهي التي برأها الله من فوق سبع سماوات في حادثة الإفك، ثم ماتت في السادسة والستين من عمرها، وكانت وفاتها على الأرجح ليلة السابع عشر من رمضان عام(٥٨هـ). انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام ابن الأثير، باب: العين والباء، ج(١٨٨/٦، ١٩٢)، رقم(٧٠٨٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الأَدَبِ، بَابُ: مَنْ نَاجَى بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ، وَمَنْ لَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّ صَاحِبِهِ، فَإِذَا مَاتَ أَخْبَرَ بِه، ج(٦٤/٨)، ح ر(٦٢٨٥ وما بعده) مرجع سابق.

وعَنْ أَنَسٍ[1]-ﷺ- قَالَ: (أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ-ﷺ- وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَينَا، فَبعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بعَثَنِي رَسُولُ اللهِ-ﷺ- لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قلْتُ: إِنهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ-ﷺ- أَحَدًا قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثتُكَ يَا ثَابِتُ)[2]، وغير ذلك من الأدلة العديدة المنتشرة في الصحيحين وغيرهما اكتفيت بالإشارة إلى مظانها في الهامش.

المطلب الثالث: سر جماعي:

لقد عُنيت مصادر الدعوة الإسلامية عناية فائقة ببيان المعاني الأصيلة التي تندرج تحت مصطلح السر حيث أظهرت وأوضحت للجميع أنه قد يكون بين جمع من الناس قد تواطؤا على أمر ما(خيرا كان أم شرا)، وتآمروا على إضماره وعدم البوح به، وعند الحديث بذات الموضوع تناجوا وأخفوا قولهم وأخذوا الحذر والحيطة كي لا يسمع أحد غيرهم بماذا يتحدثون، بل الأدهى والأمر من ذلك

---

(١)هو أنس بْن مالك بْن النضر بْن ضمضم بْن زيد بْن حرام بْن جندب بْن عامر بن غنم ابن عدي بْن النجار، خادم رَسُول اللَّهِ، واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين، قيل: كان عمره مائة سنة وثلاث سنين، وقيل: مائة سنة وعشر سنين، وقيل: مائة سنة وسبع سنين، وقيل: بضع وتسعون سنة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير، باب: الهمزة والنون وما يثلثهما، ج(١/١٥١ وما بعدها)، رقم(٢٥٨) مرجع سابق.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-ﷺ-، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم للطبعة وتاريخ، ج(٤/١٩٢٩)، ح ر(٢٤٨٢). ويراجع الأحاديث الواردة في ذات الموضوع في: صحيح الإمام البخاري، كتاب: أصحاب النبي-ﷺ-، بَابُ: مَنَاقِبِ عَمَّارٍ وَحُذَيْفَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، ج(٥/٢٥)، ح ر(٣٧٤٢)، وكِتَابُ: النِّكَاحِ، بَابُ: عَرْضِ الإِنْسَانِ ابْنَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ عَلَى أَهْلِ الخَيْرِ، ج(٧/١٣)، ح ر(٥١٢٢)، وكِتَابُ: الأَدَبِ، بَابُ: حِفْظِ السِّرِّ، ج(٨/٦٥)، ح ر(٦٢٨٩). وصحيح الإمام مسلم، كِتَابُ: النِّكَاحِ، بَابُ: تَحْرِيمِ إِفْشَاءِ سِرِّ الْمَرْأَةِ، ج(٢/١٠٦٠)، ح ر(١٤٣٧) وغيرهم الكثير.

أنهم إذا سئلوا أنكروا العلم به بالكلية(إن كان شرا)، وادعوا أنهم لا يعلمون عن ذلك شيئا، وفي ذلك قال الله تعالى: (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُون)[١]، وقال تعالى: (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى)[٢].

وقد ثبت في الصحيح (أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: اجْتَمَعَ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَا: وَاللهِ لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ - قَالَا لِي وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ - إِلَى رَسُولِ اللهِ-ﷺ- فَكَلَّمَاهُ، فَأَمَّرَهُمَا عَلَى هَذِهِ الصَّدَقَاتِ، فَأَدَّيَا مَا يُؤَدِّي النَّاسُ، وَأَصَابَا مِمَّا يُصِيبُ النَّاسُ.....قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ-ﷺ- الظُّهْرَ سَبَقْنَاهُ إِلَى الْحُجْرَةِ، فَقُمْنَا عِنْدَهَا، حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِآذَانِنَا، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجَا مَا تُصَرِّرَانِ) ومعناه تجمعانه في صدوركما من الكلام، وكل شيء جمعته فقد صررته، ووقع في بعض النسخ "تسرران" بالسين من السر أي ما تقولانه لي سرا[٣].

وبعد العيش مع آيات القرآن الحكيم، وأحاديث النبي الكريم-ﷺ- يتضح أن الأمر لا يكون كذلك إلا إذا استكتم ووقف عند فرد أو عدة أفراد لا يبلغ غيرهم ليل نهار تبين أنها لا تزال تكشف اللثام للجميع عن الحقيقة الواضحة، والغائبة عند الكثيرين من العلماء الأجلاء، وهي أن الدعوة إلى الله تعالى منذ البدء ما

---

(١) سورة النمل، آية رقم(٤٨، ٤٩). ويراجع: البقرة: ٢٧١. المائدة: ٥٢. طه: ٦٢، ١٠٣. الأنبياء: ٣. المجادلة: ٧. القلم: ٢٣. وغيرهم.

(٢) سورة طه، آية رقم(٦٢).

(٣) انظر الحديث بأكمله وشرحه في: صحيح الإمام مسلم، كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: تَرْكِ اسْتِعْمَالِ آلِ النَّبِيِّ-ﷺ- عَلَى الصَّدَقَةِ، ج(٢/٧٥٢)، ح ر(١٠٧٢).

كانت، ولم تكن في يوم من الأيام سرية بقدر ما كانت فردية؛ لعدم انطباق أي معنى من تلك المعاني السالفة الذكر والتي لم يخرج عنها مضمون وجوهر السر بأي وسيلة أو حيلة، ومما يؤكد تلك الحقيقة ويوطدها الحقائق التاريخية المتعلقة بتلك الحقبة الزمنية المنوطة بالبحث والدراسة والتي تطيح بفكرة الدعوة السرية من الساحة الدعوية، وهذا ما أتحدث عنه في المبحث التالي.

المبحث الثالث:نقض ثقافة الدعوة السرية في ضوء تاريخ الدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى.

بعد أن وقفنا على المعنى الدقيق لكلمة السر عبر معاجم اللغة العربية والكتاب والسنة، آن لنا الآن أن نقف على تاريخ الدعوة الإسلامية في السنوات الثلاث الأولى من عمر الدعوة داخل نطاق البيت النبوي وخارج نطاقه لبيان أهل كانت الدعوة سرية أم جهرية، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: الدعوة في البيت النبوي خلال السنوات الثلاث الأولى من تاريخ الدعوة الإسلامية بين السرية والجهرية والفردية.

لقد احتوى التاريخ عدة حقائق تتعلق بالبيت النبوي-ﷺ- وآله الكرام أوضحت في مضمونها وجوهرها أن الدعوة الإسلامية كانت جهرية من أول أمرها ومهدها، ومن تلك الحقائق ما يلي:

١. لم يكتم النبي-ﷺ- أمر الدعوة في قرارة نفسه بالإضافة إلى عدم وقوف الأمر عند حد مخصوص أو فرد معين ولكنه اطلع السيدة خديجة-رضي الله عنها- في أول الأمر فانطلقت به كما ورد في كتب الصحاح[١] إلى ورقة بن نوفل فأخبره هو الآخر الخبر، فآمن به وشهد أنه نبي هذه الأمة، بالإضافة إلى أولاده السيدة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، فضلا عن سيدنا علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- عندما دخل عليه وهو يصلي فقال: ما هذا يا محمد فقال النبي-ﷺ-: دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، والكفر باللات والعزى، وتَبْرَأُ من الأنداد ففعل علي-رضي الله عنه- وأسلم، وأيضا سيدنا زيد بن حارثة مولى رسول الله-ﷺ-[٢].

---

(١) انظر: صحيح الإمام البخاري، بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، ج(٧/١)، ح ر(٣).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(١١٨/٢) مرجع سابق.

٢. بعدما أسلم سيدنا علي-رضي الله عنه- أخفى إيمانه مدة من الزمان اليسير خوفا من أبيه(حتى لقيه ذات يوم فقال له: أسلمت؟ فلم ينكر أنه اتبع النبي-ﷺ- وآمن برسالته، ولكنه قال: نعم! قال: وآزر ابن عمك وانصره)[١]. وقد ورد في رواية أخرى أنه قال له: (أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت، آمنت بالله وبرسوله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله، وذكروا أنه قال له: أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير، فالزمه)[٢].

٣. أمر النبي-ﷺ- لسيدنا علي-رضي الله عنه- بالكتمان إن لم يسلم لا يدل على السرية، وذلك لأن عليا-رضي الله عنه- كان في هذا الوقت لم يبلغ من العمر التسع أو العشر سنوات فخاف أن يزيد في الأمر ما ليس منه أو ينقص، فالأمر ليس هينا ولكنه سيغير عقيدة رسخت في قلوب الناس منذ مئات السنين، وبالتالي يكون ضرره أكثر من نفعه.

٤. دعوة النبي-ﷺ- لعمه أبي طالب عندما قال له: (يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم هذا دين الله، ودين ملائكته ورسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه، فقال أبو

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ج(٢٦/٣) مرجع سابق.

(٢) انظر: تاريخ الرسل والملوك، المؤلف: محمد بن جرير الطبري(المتوفى: ٣١٠ هـ)، ط: دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية(١٣٨٧هـ)، ج(٣١٤/٢).

طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت)[١].

٥. فرضت الصلاة في أول الأمر ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي فبقيت هكذا في السفر وزيدت في الحضر على ما هي عليه الآن، ومن ثم كان النبي- ﷺ- يصلي أمام الجميع في حجر الكعبة ومعه سيدنا عليّ والسيدة خديجة، حيث ورد (عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جده عفيف قال: كان العباس بن عبد المطلب لي صديقا، وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر ويبيعه أيام الموسم، فبينما أنا عند العباس بمنى فأتاه رجل مجتمع، فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم قام يصلي، فخرجت امرأة فتوضأت ثم قامت تصلي، ثم خرج غلام قد راهق فتوضأ، ثم قام إلى جنبه يصلي، فقلت: ويحك يا عباس ما هذا الدين؟ قال: هذا دين محمد بن عبد الله ابن أخي، يزعم أن الله بعثه رسولا، هذا ابن أخي علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه، وهذه امرأته خديجة قد تابعته على دينه، فقال عفيف بعد أن أسلم ورسخ في الإسلام: يا ليتني كنت رابعا)[٢].

---

(١)() انظر: السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(١/١١٢) مرجع سابق.

(٢)() عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تأليف: : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري الربعي (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط: دار القلم–بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٤/١٩٩٣)، ج(١/١١١ وما بعدها).

٦. معنى الجهر والعلانية أن يرى الناس بعضهم بعضا أثناء الدعوة، قال تعالى: (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً)[١] أي مجاهرة يرى بعضهم بعضا)[٢] وهذا موجود بالفعل وذلك عندما جاء سيدنا أبو بكر الصديق[٣]-رضي الله عنه- بالسابقين إلى الإسلام[٤] ليدعوهم النبي-ﷺ- إلى الله تعالى، وفي إسلام سيدنا أبي ذر وابنه وابن عم لأبي ذر، وسيدنا أبي نجيح ما يثبت ذلك.

٧. التدرج في الدعوة الجماعية، حيث دعا النبي-ﷺ- أهله أولا حينما صنع لهم طعاما وشرابا، ثم ثنى بالصعود على جبل الصفا، فقد ورد عن سيدنا علي-رضي الله عنه- أنه قال: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" قَالَ: جَمَعَ النَّبِيُّ-ﷺ- مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَاجْتَمَعَ ثَلاثُونَ، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ يَضْمَنُ عَنِّي دَيْنِي وَمَوَاعِيدِي، وَيَكُونُ مَعِي فِي الْجَنَّةِ، وَيَكُونُ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي؟

---

(١) سورة نوح، آية رقم(٨).

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون للماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، بدون رقم للطبعة وتاريخ، ج(١٠١/٦).

(٣) هو عبد الله بن أبي قحافة، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ولد بعد الفيل بثلاث سنين، وتوفي مساء ليلة الثلاثاء لثماني ليال بقين من جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة من مهاجر النبي -ﷺ- فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وتوفي -رحمه الله- وهو ابن ثلاث وستين سنة، استوفى سن رسول الله -ﷺ-. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد(المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى(١٩٦٨م)، ج(١٦٩/٣، ٢٠٨).

(٤) وهم: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف. السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(١٢١/٢) مرجع سابق.

فَقَالَ: رَجُلٌ – لَمْ يُسَمِّهِ شَرِيكٌ – يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ كُنْتَ بَحْرًا، مَنْ يَقُومُ بِهَذَا؟ قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لِآخَرٍ، قَالَ: فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا)[1].

المطلب الثاني: الدعوة الجهرية خارج البيت النبوي خلال السنوات الثلاث الأولى من تاريخ الدعوة الإسلامية.

القارئ لكتب التاريخ والسير والتفاسير يدرك أن الإسلام انتشر من الوهلة الأولى بين العبيد والأحرار، والرجال والنساء، والشباب والصبيان؛ حتى انضم إليه جم غفير من أفراد المجتمع من شتى فروع قبائل العرب آنذاك، بالإضافة إلى وصف النبي–ﷺ– من قِبل الأعداء بأقبح الصفات كي ينفر منه الناس، وعندما فتر الوحي قالوا: إن ربه قد أبغضه وتركه؛ مما يدل دلالة واضحة على جهرية الدعوة، وهاك البيان:

١. اطلاع قريش على الأمر من بداية الدعوة، ومما يؤكد ذلك أن أبا بكر–رضي الله عنه– عندما لقي رسول الله–ﷺ– فقال:(أحقا ما تقول قريش يا محمد: من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا، فقال رسول الله–ﷺ–: يا أبا بكر إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته، فأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، وأدعوك إلى الله يا أبا بكر وحده لا شريك له ولا يعبد غيره، والموالاة على طاعته، وقرأ عليه القرآن فلم يقر ولم ينكر، وأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد، وأقر بحق

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى(١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ–رضي الله عنه–، ج(٢/٢٢٥)، ح ر(٨٨٢) قال محققه: إسناده ضعيف.

الإسلام، ورجع أبو بكر -رضي الله عنه- وهو مؤمن مصدق)[١] ولا تعليق على النص لبيانه وظهوره ووضوحه وضوح الشمس في رابعة النهار.

٢. اجتهاد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وتشميره عن ساعديه لإذاعته وإفشائه بين الناس حتى أسلم على يديه بعض السابقين إلى الإسلام[٢].

٣. إشاعة بشارة النبي -صلى الله عليه وسلم- بين أهل مكة بانتشار هذا الدين في أرجاء المعمورة حتى إن مدن كسرى وقيصر ستفتح له تؤكد الجهرية، وأن الجميع يعلم أمر هذا الدين، وذلك عندما قال العباس: (هذا محمد بن عبد الله، يزعم أن الله أرسله، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح له)[٣].

٤. انتسب إلى الإسلام منذ الوهلة الأولى وخلال المرحلة الموسومة بالسرية رجال ونساء من أشراف بطون قريش، وعظماء شتى قبائل العرب بأسرها حتى لا تكاد تخلو عشيرة من العشائر المكية إلا وبها من دخل في دين الله(رجل أو رجلان أو ثلاثة....) ناهيك عن حلفائهم ومواليهم مما يؤكد ذيوع تلك الدعوة بين القريب والبعيد، والصغير والكبير، والرجال والنساء، والشباب والشيوخ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(٢/١٢٠، ١٢٢) مرجع سابق. وينظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص(٦٥ وما بعدها) مرجع سابق.

(٢) الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن ابن عوف. انظر: السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(٢/١٢١) مرجع سابق.

(٣)(السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(٢/١١٩) مرجع سابق.

أ. بنو تيم بن مرة: سيدنا أبو بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله، وأم عبيس بن كريز، ومن حلفائهم ومواليهم: صهيب بن سنان الرومي، وعامر بن فهيرة، وبلال بن أبي رباح.

ب. بنو عبد شمس: سيدنا عثمان بن عفان، وحاطب بن عمرو بن عامر، وخالد بن سعيد، وزوجه أمينة بنت خلف بن أسعد، ومن حلفائهم: عبد الله وعبيد الله وأبو أحمد أبناء رئاب بن يعمر.

ت. بنو زهرة: سيدنا عبد الرحمن بن عوف، وسعد وعمير ابنا أبي وقاص والمطلب بن أزهر وزوجه رملة بنت أبي عوف بن صبير، ومن حلفائهم: خباب بن الأرت، وعبد الله بن مسعود، والمقداد بن عمرو المعروف بابن الأسود، ومسعود بن عمرو بن ربيعة القاري.

ث. بنو مخزوم: سيدنا الأرقم بن أبي الأرقم، وعياش بن أبي ربيعة وزوجه أسماء بنت سلامة بن مخرمة، ومن حلفائهم: ياسر بن عامر وزوجه سمية بنت خياط وابنهما عمار.

ج. بنو هاشم: سيدنا علي وجعفر ابنا أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس، وأم الفضل بنت الحارث، وعبيدة بن الحارث، وخديجة بنت خويلد.

ح. بنو جمح: سيدنا حاطب بن الحارث وزوجه أسماء بنت المجلل، وحطاب بن الحارث وزوجه فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث، وعثمان بن مظعون وابنه السائب، وعبد الله بن مظعون، وقدامة بن مظعون.

خ. بنو الحارث بن فهر: سيدنا أبو عبيدة بن الجراح الحارثيّ الفهريّ، وسليط بن عمرو.

د. **بنو أسد:** سيدنا الزبير بن العوام بن خويلد.

ذ. **بنو سهم:** سيدنا خنيس بن حذافة.

ر. **بنو عدي:** سيدنا سعيد بن زيد، ونعيم بن عبدالله النحام، وفاطمة بنت الخطاب، ومن حلفائهم: واقد بن عبدالله التميمي، وعامر بن أبي ربيعة، وخالد وعامر وعاقل وإياس أبناء البكير.

ز. **بنو المطلب:** سيدنا حمزة بن عبد المطلب.

س. **بنو نوفل:** من حلفائهم: سيدنا عتبة بن غزوان المازني... وغيرهم[١].

٥. أمر الله تعالى لرسوله-ﷺ- بالدعوة إلى هذا الدين القويم وإنذار قومه وتخويفهم من عدم الاستجابة، وذلك عندما فتر الوحي(امتنع واحتبس) عنه مدة من الزمان اليسير(قيل: سنتين ونصفا، وقيل: أربعين يوما، وقيل: خمسة عشر يوما، والأصح أنها كانت أربعين يوما)[٢] حزن لذلك حزنا فاق الآفاق؛ واعتراه الغم الشديد؛ وضاق به الأمر ذرعا؛ فأنزل الله تعالى سورة المدثر حيث ورد في الصحيح عن جابر[٣]-رضي الله عنه- أن النبي-ﷺ- قَالَ: (جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ

---

(١)(انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، مرجع سابق. وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، مرجع سابق. والمنهج الحركي للسيرة النبوية لمنير محمد الغضبان، ط: مكتبة المنار -الأردن- الزرقاء، الطبعة السادسة(١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج(١/٢٤، ٢٧).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، ج(٢٩/٢٧٢) مرجع سابق.

(٣) جَابِر بْن عَبْد اللَّهِ بْن عمرو بْن حرام بْن كعب بْن غنم بْن كعب بْن سلمة، يكنى أبا عَبْد اللَّه، وقيل: أَبُو عَبْد الرحمن، والأول أصح، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقال بعضهم: شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد، وتوفي جابر سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين، وصلى عليه أبان بْن عثمان، وكان أمير المدينة، وكان عمر جابر أربعًا وتسعين سنة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير، باب: الجيم والألف، ج(١/٣٠٧، ٣٠٨)، رقم(٦٤٧) مرجع سابق.

جِوَارِي، هَبَطْتُ، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَنَزَلَتْ "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ"[(١)][٢]، ومن دلالة المنطوق بالإضافة إلى دلالة المفهوم للآيات الكريمة يتبين أن الله تعالى أمر رسوله بالدعوة إلى الإيمان به، والإنذار والتخويف من عقابه الموجع إن لم يستجيبوا لدعوته ويؤمنوا برسالته منذ الوهلة الأولى، عقب نزول تلك السورة، ومن ثم أقول: أين السرية؟.

٦. الأمر بالدعوة للمرة الثانية، فإن المتتبع للوقائع التاريخية والأحداث النبوية المتوالية من أول أمرها ومهدها خلال تلك الفترة عبر كتب السير والتاريخ وخاصة السيرة النبوية لابن إسحاق باعتبار أنه أقرب مذكور للحياة النبوية ثم خلفه من بعده ابن هشام يدرك أن الوحي قد انقطع في مبتدأ البعثة أكثر من مرة، ففي الفترة الأولى نزلت المدثر، وفي الفترة الثانية نزلت والضحى، وهذا يدل على أنها نزلت في السنوات الثلاث الأولى، فقد ثبت في الصحيح أن رَسُولُ اللهِ-ﷺ-

---

(١) سورة المدثر، الآيات رقم(١، ٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابُ: التَفْسِيرِ، سُورَةُ المُدَّثِّرِ، ج(٦/١٦١ وما بعدها)، ح ر(٤٩٢٢، ٤٩٢٣، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦) مرجع سابق. ويراجع في تفسير قوله تعالى: (قُمْ فَأَنْذِرْ)، تفسير التستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى(١٤٢٣هـ)، ص(١٨١). وتأويلات أهل السنة للماتريدي، ج(١٠/٣٠٠) مرجع سابق، وجامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج(٢٣/٩) مرجع سابق.

(اشْتَكَى فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثً، فَأَنْزَلَ اللهُ-ﷻ-: "وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى"[1])[2]، قال ابن إسحاق عند تناوله لتلك السورة الكريمة بالشرح والبيان: إن المراد من قوله تعالى: ("وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" أي بما جاءك من الله من كرامته ونعمته من النبوة فحدث، اذكرها وادع إليها)[3].

وعلى قول من قال بأنها لم تنزل خلال تلك الفترة يتبين أن السرية استمرت أكثر من تلك الحقبة المنوطة بالبحث، حيث ورد في سيرة ابن هشام عند إيضاحه لتلك الآية(أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث أي أذكرها وادع إليها فجعل رسول الله-ﷺ- يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله)[4].

٧. اتهام النبي-ﷺ- بالجنون والسحر والكهانة، علاوة على إصابته بعين لها الحظ الأوفر في وقوع الحسد بالمحسود لوقوعه في الهلاك المؤكد وضياع دعوته، خلال تلك الفترة المتعلقة بالبحث من أقوى الأدلة وأثبتها على أنه بلغ ما أنزل إليه من ربه، ودعا إلى الإيمان بالله وحده وخلع ما دونه من الأصنام والأوثان، وأنه فشا أمره بين العامة؛ ومن ثم أنزل الله تعالى سورة (ن وَالْقَلَمِ وَما

---

(١)(سورة الضحى.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابُ: التَفْسِيرِ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى، ج(١٧٢/٦)، ح ر(٤٩٥٠) مرجع سابق.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن إسحاق، ج(١١٦/٢) مرجع سابق.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ج(٨١/٢ وما بعدها) مرجع سابق.

يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) لدحض تلك التهم الشنيعة فضلا عن حفظه ورعايته، مع الوعيد الشديد للمكذبين، وإن كان هناك من يقول بأنها تشتمل على آيات مدنية، فإن ذلك لا يقدح في الشاهد لاتفاق الأئمة على نزوله في السنوات الثلاث الأولى[١].

٨. لو كان الأمر كما هو منقول عن كتاب السير والمفسرين لجزمت بأن المرحلة السرية استمرت حتى العام الخامس أو السادس من البعثة المحمدية، وذلك لما أسلم حمزة بن عبد المطلب[٢]-ﷺ- يوم ضُرِبَ أبو بكر الصديق-ﷺ- عندما قام خطيبا في المسجد والناس حوله(المشركون) من كل جانب فانكبوا عليه سبّا وقذفا وضربا بالنعال حتى أدموه بل وخر مغشيا عليه حتى ظن قومه أنه قد مات وفارق الحياة، ومن ثم أوضح النبي-ﷺ- الحكمة في إخفاء الإيمان عن القوم؛ حيث قال كما روي عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ-ﷺ- قَالَتْ: (لَمَّا اجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- فَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا, أَلَحَّ أَبُو بَكْرٍ-ﷺ- عَلَى رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- فِي الظُّهُورِ, فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ, إِنَّا قَلِيلٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُلِحُّ عَلَى رَسُولِ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية(١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج(٢٢٢/١٨ وما بعدها). والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم(١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ج(٩٦/١ وما بعدها).

(٢) هو أسد الله حمزة بن عبد المطلب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، عم النبي-ﷺ- وهو أسن منه بأربع سنوات، وقيل بسنتين، أسلم في العام السادس بعد دخول النبي-ﷺ- دار الأرقم. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج(٥/٣ وما بعدها) مرجع سابق.

اللَّهِ-ﷺ- حَتَّى ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ, كُلُّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ.

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ-رضي الله عنه- فِي النَّاسِ خَطِيبًا, وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- جَالِسًا, فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ-عَزَّوَجَلَّ- وَإِلَى رَسُولِهِ-ﷺ-, وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ-رضي الله عنه- وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ فَضُرِبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا, وَوُطِيَ أَبُو بَكْرٍ-رضي الله عنه- وَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا, فَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَيْنِ وَيُحَرِّفُهُمَا لِوَجْهِهِ وَثَنَى عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ-رضي الله عنه- حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِنْ أَنْفِهِ, وَجَاءَتْ بَنُو تَيْمٍ يَتَعَادُوْنَ وَأَجْلَتِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ-رضي الله عنه-, وَحَمَلَتْ بَنُو تَيْمٍ أَبَا بَكْرٍ-رضي الله عنه- فِي ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ, وَلَا يَشُكُّونَ فِي مَوْتِهِ....)[1].

وبعد ثلاثة أيام أسلم سيدنا عمر بن الخطاب وقال مقالته المشهورة: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَا نُخْفِي دِينَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ, وَيَظْهَرُ دِينُهُمْ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: يَا عُمَرُ, إِنَّا قَلِيلٌ؛ فَإِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ مَا لَقِينَا, فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ)[2].

---

(١) انظر القصة بأكملها: الجزء السادس من فضائل أبي بكر الصديق، تأليف: أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي (المتوفى: ٣٤٣ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي – لبنان، عام النشر(١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، بَابُ: إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ-رضي الله عنه- وَفَضَائِلِهِ، ص(٢٨/٢٥). وينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تأليف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى(١٤١٤هـ- ١٩٩٣م)، الباب الخامس في سبب دخول النبي-ﷺ- دار الأرقم بن أبي الأرقم واستخفاء المسلمين حال عبادتهم ربّهم تبارك وتعالى، ج(٣١٩/٢).

(٢)() انظر القصة بأكملها: الجزء السادس من فضائل أبي بكر الصديق، تأليف: أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي (المتوفى: ٣٤٣ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد

وورد أيضا أن سيدنا عمر-رضي الله عنه-(لما أسلم ظهر الإسلام، ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به)[1].

السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي – لبنان، عام النشر(١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، بَابُ: إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ-رضي الله عنه- وَفَضَائِلِهِ، ص(٢٨/٢٥). وينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الباب الخامس في سبب دخول النبي-ﷺ- دار الأرقم بن أبي الأرقم واستخفاء المسلمين حال عبادتهم ربّهم تبارك وتعالى، ج(٣١٩/٢).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج(٢٦٩/٣) مرجع سابق.

المبحث الرابع: نقض فكرة الدعوة السرية في ضوء الوقائع التاريخية المؤكدة لجهرية الدعوة في السنوات الثلاث الأولى.

إذا ما قلب الإنسان صفحات التاريخ الإسلامي وخاصة تلك الفترة محل البحث والدراسة وجدها مفعمة بأسماء أناس داخل وخارج مكة شروا الحياة الدنيا الفانية والزائلة فإن الإنسان ينتقل منها إلى دار لا زوال لها وبالتالي لا تزن عند الله جناح بعوضة بما تحويه بين أرجائها من ملذات وشهوات ومطامع، وحب للرياسة والزعامة والنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة....إلخ، بالآخرة الباقية(دار القرار) فقلّما تجد ندا لهم في مختلف الأعصار والأمصار؛ فقد ضحوا بأموالهم وأولادهم(إن وجِدا) ناهيك عن أرواحهم في سبيل الثبات على هذا الدين القويم، والتمسك به، وسأتحدث عن هذه الكوكبة النيرة في دياجي الليل، والمشرقة في جو السماء في المطالب الآتية.

المطلب الأول: وقائع الدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى من البعثة المحمدية في نطاق مكة المكرمة.

من يقرأ في سير هؤلاء الأولين الذين كان لهم حظ السبق في الإسلام سواء أكان ذلك قبل دخول دار الأرقم[1] بن أبي الأرقم أم بعدها ممن ليس لهم عشيرة في مكة أو قوة ومنعة؛ يدرك منذ اللحظة الأولى مدى الكبد الشديد الذي كانوا يعيشون فيه على الدوام إلى ما شاء الله، وذلك عن طريق إيذائهم وإيلامهم إما

(١) هو الأرقم بْن أَبِي الأرقم، واسم أَبِي الأرقم عبد مناف بْن أسد بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم القرشي المخزومي، يكنى أبا عَبْد اللَّهِ، كان من السابقين الأولين إِلَى الإسلام، قيل: كان ثاني عشر، وكان من المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا، وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الأَرْقَمِ: تُوُفِّيَ أَبِي الأَرْقَمِ سَنَةَ ثَلاثٍ وَخَمْسِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ، وَهُوَ ابْنُ بِضْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ أَنَّهُ تُوُفِّيَ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَالأَوَّلُ أصح، ودفن بالبقيع. انظر: أسد الغابة لابن الأثير، باب: الهمزة مع الراء، ج(١/٧٤ وما بعدها)، رقم(٧٠) مرجع سابق.

بالتوثيق والضرب والجلد، أو إلباسهم أدرع مصنوعة من حديد وودعهم في رمضاء الصحراء برابعة النهار دون ظليل يغنيهم من لهيبها أو يقيهم من حرها إزاء إيمانهم ولم يكن ذلك في الخفاء والاستتار عن الأعين بل على الملأ وفي العلن وأمام العامة ليرتدوا عن دينهم، وليكونوا عبرة للغير.

وبالتالي ترتعد فرائص من همّ أو أراد وعزم بل وحدّث نفسه فقط بالدخول في هذا الدين؛ مما أدى هذا البلاء العظيم والخطر الجسيم الذي أحاط بهم أو قد أحاط إلى موت بعضهم ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١. السيدة: سمية بنت خيّاط أم عمار بن ياسر[١].

إن تلك السيدة المؤمنة التقية وزوجها وولدهما كانوا ممن أظهروا الإسلام بمكة المكرمة في أول الإسلام؛ ومن ثم لاقوا من العذاب الأليم ما لا يتحمله جبل من الجبال الشامخات، ولا يقدر عليه الكثير من الرجال الأقوياء، ورغم هذا العناء صبرت هي وزوجها وابنهما على ما ألمّ بهم من العذاب المحيط بهم من كل جانب ابتغاء وجه الله، واستطاعوا عبور تلك المحنة والرزية، ولم يأبوا إلا الإسلام ولو لطرفة عين وإن كلفهم ذلك حياتهم حتى حانت اللحظة الحرجة(وإن كان ذلك متأخرا عن الفترة المحددة للبحث) فنالت ما كانت تتمناه من تلك الحياة، وآلت إلى ما كانت ترجوه، وذلك عندما (مَرَّ بِهَا أَبُو جَهْلٍ[٢] يَوْمًا فَطَعَنَهَا بِحَرْبَةٍ

(١) هي سمية بنت خباط، وقيل: خياط، كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان ياسر حليفا لأبي حذيفة، فزوجه سمية، فولدت له عمارا، فأعتقه أبو حذيفة، وكانت من السابقين إلى الإسلام، قيل: كانت سابع سبعة في الإسلام، وهي من أوائل الذين أظهروا إسلامهم بمكة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير، باب: حرف السين، ج(٦/١٥٢ وما بعدها)، رقم(٧٠١٣) مرجع سابق.

(٢)هو عدو الله عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشي المخزومي، وكان أبو جهل يكنى في الجاهلية أبا الحكم، قُتل أبو جهل يوم بدر

فِي قُبُلِهَا فَمَاتَتْ-رَحِمَهَا اللَّهُ-)[1] فقتلت صبرا أمام الجميع، فأصبحت أول شهيدة في الإسلام، ولكن كل ذلك يهون ويزول مع بشارة النبي-ﷺ- لهم كلما غدا عليهم أو راح فيقول: (أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ, أَوْ آلَ يَاسِرٍ, فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ)[2].

٢. سيدنا بلال بن أبي رباح[3]-رضي الله عنه-.

إن ما حلّ بهؤلاء، ونال غيرهم، ونزل بالمستضعفين منهم بشعاب مكة وفجاجها من قِبل المشركين الذين كانوا كالوحوش الكاسرة والأسود المفترسة ذات

كافرًا، قتله عمرو بن الجموح وابن عفراء الأنصاريان، وكانا حديثين. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون رقم للطبعة وتاريخ، ج(٢/٢٠٦)، رقم(٧٥٣). ج(١/٣٣٨ وما بعدها)، رقم(٤١٩).

(١) السيرة النبوية(من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت–لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ- ١٩٧٦م، بَاب: أَمر الله رَسُوله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام بإبلاغ الرسَالَة إِلَى الْخَاص وَالْعَام، ج(١/٤٩٤ وما بعدها). والطبقات الكبرى لابن سعد، ج(٨/٢٦٤) مرجع سابق.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم(المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل، ط: دار التأصيل – القاهرة، الطبعة الأولى(١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م)، ج(٦/١٨٥)، ح ر(٥٧٧٧) صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ, وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، للكلاعي الحميري(المتوفى: ٦٣٤هـ)، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، ط: عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٧هـ)، ج(١/١٨٤).

(٣) يكنى: أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عَبْد اللَّهِ، وقيل: أبا عمرو وأمه حمامة، وهو مولى أَبِي بكر الصديق، اشتراه بخمس أواقي، وقيل: بسبع أواقي، وقيل: بتسع أواقي، وأعتقه للَّه –عز وجل– وكان مؤذنًا لرسول اللَّه-ﷺ-، توفي بدمشق، ودفن بباب الصغير سنة عشرين، وهو ابن بضع وستين سنة، وقيل: مات سنة سبع أو ثماني عشرة، وقيل: مات بلال بحلب، ودفن عَلَى باب الأربعين. انظر: أسد الغابة لابن الأثير، باب: الباء واللام، ج(١/٢٤٣، ٢٤٥)، رقم(٤٩٣) مرجع سابق. ويراجع السيرة الذاتية لسيدنا خباب بن الأرت وما حدث معه من نفس المرجع، ج(١/٥٩١) وغيرهم الكثير من المستضعفين.

البطون الضامرة والأنياب الفتاكة والمخيفة في الوقت نفسه....إلخ، وخاصة الذين أظهروا إسلامهم منذ الوهلة الأولى من تاريخ الدعوة الإسلامية كسيدنا بلال بن أبي رباح-ﷺ- ليس ببعيد عن الأسماع أو خفي عن الأبصار، فقد كان مشركو مكة يذهبون به إلى بطحائها ذليلا مضطهدا، ويطرحونه على الرمال الملتهبة من شدة حرارة الشمس مستلقيا على ظهره، ويقومون بوضع الأحجار العظيمة التي توهجت، والصخور التي توقدت على صدره بأنصاف النهار؛ كي يرتد عن دينه؛ ويؤمن باللات والعزى، ولكنه كان رابط الجأش، مطمئن القلب، حيث استقر الإسلام بين جنباته، واستولى على جوارحه؛ ومن ثم هان عليه جسده وضحى بنفسه، وعزّ عليه بعد أن ذاق حلاوة الإيمان أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه؛ ولذا (أَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ)[1].

٣. سيدنا سعد بن أبي وقاص[2]-ﷺ-.

(١) سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى(١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، ج(١/١٠٥)، ح ر(١٥٠)، وقال محققوه: إسناده حسن. وينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج(٢/١٥٩ وما بعدها).

(٢) هو سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي أحد العشرة وأحد السابقين الأولين وأحد من شهد بدرا والحديبية وأحد الستة أهل الشورى، وتوفي سنة خمس وخمسين، وقيل: في سنة ست وخمسين وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ثمان وخمسين والأول هو الصحيح. انظر القصة بتمامها في: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي(المتوفى: ٧٤٨هـ)، ط: دار الحديث- القاهرة، بدون رقم للطبعة (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج(٣/٦٦، ٨٣)، رقم(١٠). وينظر: السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، تأليف: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين

عندما نقرأ في ذكر إسلام سيدنا سعد بن أبي وقاص–رضي الله عنه– نجد أنه حينما رجع إلى أمه وأنبأته خبر ما كان منه بقولها: لقد صبوت واتبعت دين محمد، وأرادت أن تحرك لديه المشاعر الإنسانية والنفسية، والأحاسيس الوجدانية تجاه أمه كي يرجع عن هذا الدين بامتناعها عن الطعام والشراب يوما بعد يوم حتى بلغ منها الجهد منتهاه وكادت أن تسلم روحها وتموت فقال: والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت كلها نفسا نفسا ما تركت دين محمد، فلما أيست منه أكلت، ومن ثم أقول: من أين عرفت بالأمر، وأين الخفاء، وما هو السر في ذلك.

٤. سيدنا خباب بن الأرت[١]–رضي الله عنه–.

لقد أسلم العديد من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ولكن لم تكن لدى البعض منهم الشجاعة والجرأة الكافية في أول الأمر لإظهار إيمانهم خوفا من الوقوع في الاضطهاد والتنكيل من قِبل القائمين على زمام الأمور بمكة، والبعض الآخر أظهر إسلامه على الفور تاركا خلفه ما سيلحق به إبّان ذلك، ومن هؤلاء سيدنا خباب بن الأرت حيث عذب في الله أشد تعذيب، فقد كانت مولاته تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه.

(المتوفى: ١٠٤٤هـ)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية(١٤٢٧هـ)، ج(١/٣٩٤ وما بعدها).

(١) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو يحيى، اختلف في نسبه، فقيل: خزاعي، وقيل: تميمي، وهو الأكثر، قيل: هو مولى عتبة بن غزوان، وقيل: مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية، وهي من حلفاء بني زهرة، مات سنة سبع وثلاثين وصلى عليه علي–رضي الله عنه–، وكان عمره إذ مات ثلاثا وسبعين سنة، وقيل: مات سنة تسع عشرة، وصلى عليه عمر–رضي الله عنه–. انظر القصة بأكملها: أسد الغابة لابن الأثير، ج(١/٥٩١، ٥٩٣)، رقد(١٤٠٧) مرجع سابق.

وبناء على ما سبق يتبين أن الخفاء كان في الحال والشأن مخافة ما يؤولون إليه من العذاب المستمر، وإن كان هؤلاء من أهل مكة أو قاطنيها من مواليهم وحلفائهم، فهناك من ليس من أهلها مع اطلاعه على الأمر وهذا هو المطلب التالي.

المطلب الثاني: وقائع الدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى من البعثة المحمدية خارج نطاق مكة المكرمة.

المتتبع لتلك الحقبة الزمنية المرتبطة بالبحث والتحليل من خلال كتب الصحاح والسير والتراجم يقف بعد التنقيب على العديد من الرجال الذين اتبعوا رسول الله-ﷺ-، بل وصدعوا بما آمنوا، وجهروا بما اعتنقوا، وأعلنوا بما ارتكز في قلوبهم حيث تمكن من نفوسهم واستولى على جوارحهم، وصاحوا بصوت شجي في نوادي مكة وشعابها وفجاجها حيث يجتمع القوم إبّان ذلك بالشهادة، مما يؤكد أن الدعوة لم تكن في يوم من الأيام سرية بقدر ما كانت جهرية، ومن ذلك ما يلي:

١. سيدنا أبو ذر الغفاري[١] وأخوه أنيس وأمهما وابن لأبي ذر وابن عم له.

فقد ثبت في الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنه- أنه قَالَ: (لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ-ﷺ-، قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ، الَّذِي

(١) قيل: جندب بن جنادة، على أنه قد اختلف في اسمه، فقيل ما ذكرنا، وقيل: برير بن جندب، ويقال: برير بن عشرقة، وبرير بن جنادة، ويقال: برير بن جنادة، والمشهور المحفوظ جندب بن جنادة، من غفار، وكانت وفاته بالربذة سنة ثنتين وثلاثين، وأمه رملة بنت الوقيعة من بني غفار أيضا. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر(المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، باب: حرف الجيم، ج(١/٢٥٢ وما بعدها).

يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ.

فَتَزَوَّدَ، وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى المَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ -ﷺ- وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَرَآهُ عَلِيٌّ، فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى المَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ اليَوْمَ، وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ -ﷺ- حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنَّنِي، فَعَلْتُ، فَفَعَلَ، فَأَخْبَرَهُ.

قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ، قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ المَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ، فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -ﷺ-: ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى المَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَامَ القَوْمُ، فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ العَبَّاسُ عَلَيْهِ فَأَنْقَذَهُ)[1].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ-،بَابُ إِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ -رضي الله عنه-، ج(٥/٤٧ وما بعدها)، ح ر(٣٨٦١) مرجع سابق. وينظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من

وفي المستدرك على الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (انْطَلَقَ أَبُو ذَرٍّ وَنُعَيْمُ ابْنُ عَمِّ أَبِي ذَرٍّ، وَأَنَا مَعَهُمْ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ- وَهُوَ بِالْجَبَلِ مُكْتَتِمٌ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا مُحَمَّدُ، آتَيْنَاكَ نَسْمَعُ مَا تَقُولُ، وَإِلَى مَا تَدْعُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-: أَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَآمَنَ بِهِ أَبُو ذَرٍّ وَصَاحِبُهُ وَآمَنْتُ بِهِ، وَكَانَ عَلِيٌّ فِي حَاجَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- أَرْسَلَهُ فِيهَا، وَأُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَصَلَّى عَلِيٌّ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ)[1].

إن الذي يمعن النظر في الحديثين السالف ذكرهما وغيرهما ممن ورد في إسلام وفضل أبي ذر الغفاري-رضي الله عنه- وإن كان بينهم مغايرة وتفاوت ملحوظ في كثير من الأمور فقد وفّق بين الكثير منها كعدد الأيام التي مكثها بمكة، وأول من استضافه(حملت على أكثر من سفر).....إلخ، يستنبط الآتي ذكره:

١. لم يكن أبو ذر من أهل مكة، وما قطنها في يوم من الأيام، ولكنه نزل بعد رحلة طويلة إلى حماها وجوارها وبنى منزلا بعيدا البعد كله عن منازلها.

٢. سماعه بمبعث رسول الله-ﷺ- يؤكد ذيوع أمره وشيوع رسالته في ربوع الأرض؛ ومن ثم أرسل أخاه ليستكشف الأمر ويأتيه بالخبر اليقين تجاه هذا الأمر الخطير والعظيم في الوقت نفسه لموافقته بما يخطر في قلبه ويتردد في صدره من توحيد لله، ومكارم للأخلاق....إلخ، ولكنه لم يأت بالنبأ الشافي والكافي في ذات الوقت الذي يشفي ما في الصدور، وما يختلج في النفوس، وما يجول في

الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، ط: دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى(١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ج(٤/٣٧٠، ٣٧٦).

(١)() المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج(٥/٣٠٧)، ح ر(٤٦٤٦)، صحيح الإسناد، قال الإمام الذهبي: صحيح لغيره. انظر: مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم لابن الملقن، ط: دَارُ العَاصِمَة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى(١٤١١هـ)، ج(٣/١٣٣٠).

العقول على حد قوله، فرحل لوقته حاملا زاده ومتاعه حتى قدم مكة، ودخل على النبي-ﷺ- بعد ثلاث ليال(على بعض الروايات) فأسلم مكانه.

٣. لم يقف الأمر عند حد إسلام أبي ذر-رضي الله عنه- ولكنه خرج إلى أهل مكة ونطق بالشهادة، وأعلن اتباعه لهذا النبي الكريم فثاروا عليه وأوجعوه ضربا بكل عظم وحجر ومدر حتى أدموه وخر مغشيا عليه ولم ينقذه من أيدي القوم إلا العباس بن عبد المطلب-رضي الله عنه-.

٤. أمرُ النبي-ﷺ- لأبي ذر بأن يرجع إلى عشيرته وقومه ويدعوهم إلى الإيمان بهذا الدين، ويأمرهم بالدخول فيه والثبات عليه، مما أدى إلى إيمان الكثير منهم كأخيه وأمه ونصف القوم، ومما يؤكد ذلك أن النبي-ﷺ- قال: (إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِم، فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ)(١).

٥. الرواية الأولى والثانية تدلان على أن أبا ذر لم يسلم وحده بل آمن كل من أخيه وابنه وأمه وابن عم له، فأين السر في ذلك.

٦. الرواية الثانية لا تدل لا من قريب ولا بعيد على السرية في الدعوة ولكن جل ما في الأمر أنه كان يخاف عليهم من العذاب المحدق بهم وخاصة

(١)() أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ-ﷺ-، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي ذَرٍّ-رضي الله عنه-، ج(٤/١٩١٩)، ح ر(٢٤٧٣) مرجع سابق.

المستضعفين والفقراء من أهل الدار وممن ليس لهم أهل ولا عشيرة ولا منعة تمنعهم من صناديد قريش وألد أعداء الدعوة؛ ومن ثم كان يعلم من لا يريد البوح بإيمانه بعدُ أمر دينه في الخفاء كدار الأرقم بن أبي الأرقم أو الجبل.

٧. أين السر عندما قال: آتيناك نسمع ما تقول، وما تدعو إليه، فأخبره النبي-ﷺ- على الفور أنه رسول الله، ويدعو إلى الله وحده؛ فآمنوا إبّان ذلك، علاوة على أنه لم يأمرهم بكتمان هذا الأمر.

٨. في رواية ابن إسحاق أنهم أتوه وهو "بالجبل مكتتم بطائفة من مكة، وأتوه وهو نائم في الجبل"[١] يحمل على أنه كان مستترا خلال نومه من حرارة الشمس الحارقة.

٢. سيدنا أبو نجيح عمرو بن عبسة السلمي[٢]-رضي الله عنه-.

من الذين علموا ببعثة النبي-ﷺ- وسمعوا برسالته في السنوات الثلاث الأولى الموسومات بالمرحلة السرية رغم أنه ليس من أهل مكة، سيدنا أبو نجيح عمرو بن عبسة السلّمي-رضي الله عنه- وهو من القلة القليلة الذين أنعم الله عليهم في الجاهلية(قبل الإسلام) بالعقل الرشيد، ومنّ عليهم بالنظر الصحيح، والفكر القويم، والفطرة السوية، وبث في روعهم أن عبادة الأوثان باطلة؛ وبالتالي مال كغيره عن عبادة تلك الأوثان، وانحرف عن السجود للأصنام، وامتنع عن تقديم القربان للأنصاب

(١) السيرة لابن إسحاق، ج(١٢٢/٢) مرجع سابق.

(٢) هو ابن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منظور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، قال: فأنا رابع الإسلام. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدرا، ومن سائر العرب، عمرو بن عبسة، ج(١٦٢/٤، ١٦٥).

المنحوتة من الأحجار والحلوى والخشب وغيرهم....إلخ، معتقدا اعتقادا صارما بأن تلك الأشياء الصماء، البكماء، العمياء، العاجزة عن الحركة، وتدبير أمورها وشئون حياتها وقضاء حاجاتها فضلا عن الغير؛ ليست بشيء وأن الناس ليسوا على شيء فإنها بطبيعة الحال والشأن كما هو منظور بالأبصار لا تملك النفع أو الضر لنفسها علاوة عن غيرها.

فبينما هو كذلك إذ سمع برجل بمكة يخبر أخبارا (الإرسال، الوحي، الدعوة إلى الإسلام) فهيأ راحلته، وطار على متنها متوجها إلى مكة لاستكشاف هذا الأمر الخطير وللاطلاع عليه عن كثب؛ لأن الأمر إن كان كما شاع صيته في أرجاء الأرض سيغير مسار التاريخ والحياة معا إلى أفضل حال، فلقي الرسول- ﷺ- بعكاظ والتي كانت سوقا من أسواق الجاهلية فقال له: (مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقَال: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللهُ، فَقَال: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقَال: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي)[1].

ومن خلال ما سبق يظهر أن الخفاء والسر كانا في عدم إظهار الإيمان والعمل والحال والشأن فقط؛ حتى لا يقع الإنسان تحت طائلة العذاب الأليم المحدق بالمؤمنين من كل حدب وصوب، وهو أخوف ما خاف عليهم النبي-

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ: إِسْلَامِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ- ﷺ-، ج(١/٥٦٩ وما بعدها)، ح ر(٨٣٢) مرجع سابق. بتصرف يسير. وينظر: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، تأليف: دكتور رؤوف شلبي، ط: دار القلم، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، ص(٢١١).

ﷺ- منه، حيث كان الناس يجترؤون على من آمن برسالته بكل قبيح ومذموم، ولكن النبي-ﷺ- قد منعه قومه، وليس فيما سبق بيانه ما يوحي بأنه أمره بأن يكتم هذا وألا يدعو غيره...إلخ.

المبحث الخامس: أثر القول بالدعوة السرية على الدعوة الإسلامية في الواقع المعاصر.

إن من الآثار السلبية التي خلّفها القول بسرية الدعوة الإسلامية في أول أمرها كما نبهت سالفا في أسباب اختيار الموضوع لتربية الرعيل الأول دينيا وسياسيا وعسكريا أدى إلى انتشار جماعات دعوية وحركات إسلامية في القديم والحديث تنتسب إلى الإسلام زورا وبهتانا وهي في الأصل سليلة بيت واحد تتسم بالتنظيم السري والعنف والتطرف والإرهاب في بعض الأحيان حتى وصل الأمر إلى تكفير الحاكم والمحكومين، والغلو والتشدد في الأمور الشرعية، حيث أصلت تلك الجماعات لتلك الفترة من عمر الدعوة الإسلامية وجعلتها قاعدة للتنظيمات السرية لديها، فما من حركة إسلامية قامت إلا واعتمدت التنظيم السري في بداية الأمر، ثم انطلقت بعد ذلك إلى إعلان فهمها الحركي للإسلام، ومن تلك الحركات والجماعات القديمة والحديثة على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

المطلب الأول: الحركة القرمطية:

من خلال دراسة الحقبة الزمنية لتلك الحركة يتضح أنها مرت بمرحلتين (السرية والجهرية) حيث بدأت بعبد الله بن ميمون القداح رأس الأفعى القرمطية وذلك عندما قام بنشر المبادئ الإسماعيلية الأولية في جنوب فارس سنة ٢٦٠هـ.

ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشاني والذي أخذ يبث الدعوة سراً، وفي سنة ٢٧٨هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبث الدعوة جهراً قرب الكوفة ثم بنى داراً سماها دار الهجرة وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم.

وقد تكونت تلك الحركة على أيدي هؤلاء الذين أظهروا بعض الأفكار والآراء التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت،

وإن لم يكن آل البيت قد سلموا من سيوفهم؛ لأنهم يبطنون المجوسية والإلحاد والإباحية والقضاء على الدولة الإسلامية، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري.

ومن أعمالهم القبيحة استخدام العنف لتحقيق أهدافهم، والبطش بالحجاج ونهب أموالهم وتركهم في الفقر المدقع حتى يهلكوا، ويعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالا، وقد دامت هذه الحركة قرابة قرن من الزمان، وقد بدأت من جنوبي فارس وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة وامتدت إلى الأحساء والبحرين واليمن وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان، وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق، وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم في الأحساء والبحرين(١).

المطلب الثاني: جماعة التكفير والهجرة،

ورد في كتاب أبرز المؤسسات الدعوية في القرن العشرين: أن شكري أحمد مصطفى والذي كان من مواليد قرية الحواتكة بمحافظة أسيوط عام ١٩٤٢م، عندما اعتقل عام ١٩٦٥م وكان عمره وقتئذ ثلاثة وعشرين عاما تولى قيادة الجماعة داخل السجن بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ علي عبده إسماعيل، حيث تكونت العديد من الجماعات الإرهابية المتشددة المنتسبة إلى الإسلام داخل السجون المصرية في بادئ الأمر، وبعد خروج أفرادها تبلورت أفكارها، وانتظمت مبادئها، وكثر اتباعها في صعيد مصر، وانتسب إليها العديد من طلبة المدارس

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة(١٤٢٠هـ)، ج(١/٣٧٨، ٣٨٣).

والجامعات، وفي عام ١٩٧١م أفرج عنه بعد حصوله على بكالوريوس الزراعة، ومن ثم بدأ في تكوين الهيكل التنظيمي لتلك الجماعة بعد ما تمت مبايعته أميرا للمؤمنين وقائدا للجماعة، فعين أمراء للمحافظات والمناطق، واستأجر العديد من الشقق كمقار سرية للجماعة بالقاهرة والإسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلي(١).

وقد ارتكزت قواعد تلك الجماعة على أفكار ومعتقدات عدة أهمها ما يلي:

١. تكفير الحاكم والمحكومين على الإطلاق ودون تفصيل، ومن لم ينتسب إليهم، فضلا عن التصفية الجسدية لمن ارتد عن الجماعة.

٢. كل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع حتى ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس أو بالمصلحة المرسلة أو بالاستحسان فهو في نظرهم مشرك كافر.

٣. العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله.

٤. قول الصحابي وفعله ليس بحجة ولو كان من الخلفاء الراشدين.

٥. العزلة عن المجتمع الجاهلي وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية، والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية وشعورية.

٦. يجب على المسلمين في هذه المرحلة الحالية من عهد الاستضعاف الإسلامي أن يمارسوا المفاضلة الشعورية لتقوية ولائهم للإسلام من خلال تلك الجماعة، وفي نفس الوقت عليهم أن يكفوا عن الجهاد حتى تكتسب القوة الكافية.

---

(١) انظر: الكتاب لفضيلة الأستاذ الدكتور/ بكر زكي إبراهيم عوض، ط: رشوان، بدون رقم للطبعة وتاريخ، ص(١٦٦، ١٦٨).

٧. الدعوة إلى الأمية، وترك الانتساب إلى الكليات والجامعات والمعاهد إسلامية كانت أو غير إسلامية؛ لأنها مؤسسات الطاغوت، وتدخل ضمن مساجد الضرار..إلخ(١).

المطلب الثالث: الإخوان المسلمون والتنظيم السري:

القارئ لتاريخ تلك الجماعة منذ البدء وحتى الآونة الأخيرة يدرك مدى اهتمامهم بالتنظيم السري أو الخاص في جميع الأحوال حيث تحدث الأديب نجيب محفوظ عن هذا التنظيم السري عندما أرادوا انضمامه إلى الجماعة وبين أنهم عبارة عن:

١. أُسَرٌ لا تعرف تلك الأسر من فوقها إلا رجلا تتلقى منه الأوامر فحسب.

٢. يظل المنتسب ينتقل من أسرة إلى أسرة حتى يصل إلى الرئيس المباشر للجماعة ويكون ذلك على حسب جهده وتحمله لتلقي التدريب، وعمله ونشاطه وولائه وتقدمه في أداء المهام المطلوبة منه على الوجه الأكمل....إلخ.

٣. إن أحب الرجوع عن فكرة التطوع فإن ذلك يعني الموت.

٤. إن المتطوع عبارة عن دمية أو ألعوبة أو أداة تحركها الجماعة كيفما تشاء، وما هم إلا أدوات تنفيذ.

٥. التهاون في الكتمان والسر يعرض العضو المتطوع إلى إلقاء القبض عليه، وقد يدفعه التعذيب إلى الاعتراف بما يهدد أمن الأسرة.

٦. الاجتماعات تكون سرية للغاية، وإذا شعرت الأسرة بخطر يداهمها أجّلت الاجتماعات إلى أجل مسمى أو غير مسمى وتختار مكانا آخر.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص(١٦٩، ١٧١).

٧. أراد مؤلف الكتاب أن يلتقي بالرئيس العام، فرد رئيس الأسرة بما يدل على السرية والكتمان بقوله: من يدري؟ لعلك رأيته وأنت لا تدري، إنه على مدى علمي لا يعيش في برج عاجي، ولكنه يمارس حياته بين الناس، وربما غشى الأماكن التي تجوبها للعمل أو الراحة.

٨. يطلقون على الأسلحة مصاحف....إلخ[١].

ومن يطالع كتاب الإخوان المسلمون والتنظيم السري يستشف الآتي:

١. لم تكن فكرة العنف والتطرف واردة في ذهن مؤسس الجماعة ولم تخطر بباله أصلا.

٢. بعد انتشار تلك الجماعة في ربوع الأرض ونجاحها على المستوى المحلي أخذ في تحويل الجماعة من جماعة مدنية إلى جماعة شبه عسكرية، وانتقل من مرحلة الحب والإخاء والتعارف إلى مرحلة الاستعداد لتنفيذ الأهداف المنوطة بالجماعة بالقوة.

٣. كان مؤسس الجماعة يستعين بإخوان من الشباب الصغار لمساعدته في شراء السلاح ثم يقوم بتخزينه دون أن يعرف أحد.

٤. بعد اصطدام مؤسسو الجماعة بالسلطة واعتقالهم ثم تم الإفراج عنهم بعد مدة من الزمن لا تتجاوز الشهر أو الشهور، قام مؤسس الجماعة بتكوين نظام الأسر(الكتائب) حيث تتكون كل أسرة من خمسة أو عشرة أفراد، وفي الحقيقة إن هذه الأسر تعتبر مدخلا للنظام الخاص أو السري.

---

(١) انظر: التنظيم السري لنجيب محفوظ، ط: دار الشروق، الطبعة الأولى(١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص(٧، ٤٣).

٥. إن كل عضو في الجهاز السري كان يرمز له برقم خاص وبالحروف الأولى من اسمه، وكان يخضع لنظام مراقبة دقيق صارم، ويحاسب على تحركاته حسابا عسيرا، ويتوقع الموت جزاء لأية خيانة.

٦. كان هذا النظام يدرس دراسات في الوطنية وفي النواحي الدينية، ودراسات خاصة باستعمال السلاح، وأخرى في القانون والإسعافات الأولية، ويؤدون امتحانا في تلك الدراسات.

٧. عند نجاح العضو في تلك الدراسات والرمي، كان يؤخذ لحلف اليمين على الطاعة والكتمان.

٨. تتم أخذ البيعة عن طريق القسم على الطاعة أمام رجل ملثم في غرفة مظلمة يضع أمامه مصحف ومسدس، وأن الذي يفشي سرا من أسرار هذا النظام الخاص فجزاؤه الموت في أي مكان يحتمي به.

٩. يكون لكل خلية أمير مهمته تلقي العضو بعد قبول ترشحه، وتعريفه بنوع العمل، وإقناعه بشرعيته، وتوصيته بالكتمان ،والطاعة والصمت.

١٠.جهز هذا الجيش السري بالرؤوس المفكرة، والعقول المدبرة، والمال الوفير، والأسلحة والمفرقعات، ووسائل النقل، وأدوات التراسل والإذاعة، فضلا عن الأوكار في مختلف الجهات في المدن والريف.

١١.كان هذا النظام يتكون من الحرفيين وأصحاب الأعمال البسيطة من السمكري والمطبعي والعامل والموظف في الدرجة الصغيرة والفلاح والفقير....إلخ

الذين يئنون من أعباء الحياة لتثير فيهم غريزة الحقد والبغض والحسد، وهي غريزة تجعلهم أكثر تعصبا للمبادئ المخربة السفاكة للدماء[١]....إلخ

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) انظر: الكتاب للدكتور/ عبدالعظيم رمضان، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية(١٩٩٣م)، ص(٣، ٥٣). وينظر: الإخوان المسلمون ٧٠ عاما في الدعوة والتربية والجهاد، الإخوان المسلمون وعلاقتهم مع تنظيم الدولة داعش، ويراجع في تلك التنظيمات: التنظيم السري لجماعة فتح الله غولن، تأليف: حنفي أوجي، ط: دار ابن حزم بيروت لبنان، الطبعة الأولى(١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، والتاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مذكرات علي عشماوي آخر قادة التنظيم الخاص، مركز ابن خلدون للدراسات الإيمانية، بدون رقم للطبعة وتاريخ.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد أولا وآخرا، فلولاه ما كان البدء وما كان الختام، فبعد دراسة هذا الموضوع الموسوم "بالدعوة الإسلامية بين السرية والجهرية في السنوات الثلاث الأولى من البعثة المحمدية –دراسة تحليلية–" توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أهمها ما يلي:

أولا: نتائج البحث.

١. اتضح من خلال الدراسة العميقة والشاملة في الوقت نفسه أن السر قد يكون فرديا أو ثنائيا أو جماعيا شريطة ألا يتعداهم، فإن كان فلا يكون سرا باتفاق كما دلت على ذلك اللغة العربية والقرآن والسنة.

٢. رغم التعذيب والتنكيل اللذين حلا بالمؤمنين الأول قام البعض منهم بالدعوة إلى الإسلام بمجرد إيمانه حتى أسلم على يديه السابقون إلى الإسلام.

٣. ثبت بالدليل انتشار وإفشاء أمر هذا الدين الجديد بين العامة والخاصة والقريب والبعيد مما أدى إلى عدم خلو قبيلة من القبائل العربية أو بطن من بطون قريش المنتشرة آنذاك إلا وقد انتسب إلى الإسلام منها رجل أو رجلان أو ثلاثة أفراد...إلخ ناهيك عن النساء.

٤. ثبت أن الدعوة الإسلامية لم تكن في هذه الفترة سرية بقدر ما كانت فردية وجهرية.

٥. تبين بعد تلك الدراسة نزول أكثر من أمر للنبي–ﷺ– بالدعوة إلى الإسلام عن طريق الإنذار والتخويف من العذاب الأليم المنتظر لمن لم يستجب

وامتنع عن الدخول في هذا الدين الحنيف دون اقتران ذلك بسرية أو غيره كما في سورتي المدثر والضحى.

٦. اتضح أن السر قد يكون في الحال والشأن والعبادة في بعض الأحيان لا في الدعوة.

٧. لم يقتصر الدخول في هذا الدين على الضعفاء والفقراء والمساكين كما يزعم البعض خلال تلك الفترة بل إن بعض الوجهاء من سادة قريش قد انتسبوا إليه أيضا.

٨. بين هذا البحث أمر النبي-ﷺ- لبعض الصحابة الكرام عقب إيمانه أن يدعوا أقوامهم إلى هذا الدين، والسؤال الذي يطرح نفسه، أين السرية في ذلك؟.

٩. اتهام النبي-ﷺ- بالجنون والسحر والكهانة والشعر من أجل صرف الناس عن سماع ما يدعو إليه دليل واضح على انتشار دعوته بين العامة.

ثانيا: التوصيات.

١. أوصي باستخدام العقل كآلة للتفكير في كثير من القضايا المنتمية للإسلام التي تركت بابا وإن كان مواربا أمام جماعات تنتسب إلى الإسلام زورا وبهتانا والتي اتخذت من هذه القضايا(الدعوة السرية، الحرية....إلخ) مبدأ أوليا في تكوينها لبث السم في العسل، وطرحها على الوجه الصحيح.

٢. عدم التعصب لأي فكر مهما كان ما دامت القضية قابلة للنقاش والحوار فهناك المرجوح والراجح، والراجح والأرجح....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبرز المؤسسات الدعوية في القرن العشرين، تأليف: الأستاذ الدكتور/ بكر زكي إبراهيم عوض، ط: رشوان، بدون رقم للطبعة وتاريخ.

٢. أعلام النبوة، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي(المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: دار الكتاب العربي–بيروت، الطبعة الأولى(١٩٨٧م).

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام ابن الأثير الجزري المتوفي سنة(٦٣٠هـ)، ط: دار الفكر –بيروت– لبنان، بدون رقم للطبعة(١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٤. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تأليف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، ط: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى(١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م).

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٦. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تأليف: سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى:

٦٣٤هـ)، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، ط: عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٧هـ).

٧. الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم(١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

٨. الإخوان المسلمون وعلاقتهم مع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، إعداد: كبوري عمر، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، مسابقة: كن واعيا للعام الجامعي(١٤٤٠هـ).

٩. الإخوان المسلمون والتنظيم السري للدكتور/ عبدالعظيم رمضان، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية(١٩٩٣م).

١٠. الإخوان المسلمون ٧٠ عاما في الدعوة والتربية والجهاد، الإخوان المسلمون وعلاقتهم مع تنظيم الدولة داعش.

١١. البداية والنهاية، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ط: دار الفكر، بدون رقم للطبعة: (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

١٢. التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مذكرات علي عشماوي آخر قادة التنظيم الخاص، مركز ابن خلدون للدراسات الإيمانية، بدون رقم للطبعة وتاريخ.

١٣. التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، بدون رقم للطبعة(١٩٨٤هـ).

١٤. التنظيم السري لنجيب محفوظ، ط: دار الشروق، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

١٥. التنظيم السري لجماعة فتح الله غولن، تأليف: حنفي أوجي، ط: دار ابن حزم بيروت لبنان، الطبعة الأولى(١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

١٦. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ط: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة الأولى(١٤١٠هـ–١٩٩٠م).

١٧. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية(١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله–ﷺ– وسننه وأيامه، تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى(١٤٢٢هـ).

١٩. الجزء السادس من فضائل أبي بكر الصديق، تأليف: أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي (المتوفى: ٣٤٣ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي – لبنان، عام النشر (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

٢٠. الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، تأليف: دكتور رؤوف شلبي، ط: دار القلم، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

٢١. الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها للدكتور/ أحمد غلوش، ط: دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، الطبعة الثانية(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٢٢. الرحيق المختوم، تأليف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، ط: دار الهلال –بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٢٣. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تأليف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٢هـ).

٢٤. السيرة لابن إسحاق (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: محمد حميد الله، ط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف بالمغرب، بدون تاريخ.

٢٥. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، تأليف: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية(١٤٢٧هـ).

٢٦. السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى(١٤١١هـ).

٢٧. السيرة النبوية(من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت–لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ– ١٩٧٦م.

٢٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٢٩. الطبقات الكبرى، تأليف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى(١٩٦٨م).

٣٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي(المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ.

٣١. المخصص، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

٣٢. المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني، ط: مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٣٣. المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل، ط: دار التأصيل – القاهرة، الطبعة الأولى(١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م).

٣٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله-ﷺ- ، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم للطبعة وتاريخ.

٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى:٧٧٠هـ)، ط: المكتبة العلمية – بيروت، بدون رقم للطبعة وتاريخ.

٣٦. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، تأليف: لجنة من علماء الأزهر، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر(١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

٣٧. المنهج الحركي للسيرة النبوية لمنير محمد الغضبان، ط: مكتبة المنار –الأردن– الزرقاء، الطبعة السادسة(١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٣٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة(١٤٢٠هـ).

٣٩. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى(١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٤٠. الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي(المتوفى: ٤٦٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى(١٤١٥هـ /١٩٩٤م).

٤١. تاريخ الرسل والملوك، تأليف: محمد بن جرير الطبري(المتوفى: ٣١٠ هـ)، ط: دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية(١٣٨٧هـ).

٤٢. تفسير التستري، تأليف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد

باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى(١٤٢٣هـ).

٤٣. تفسير الماوردي = النكت والعيون للماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، بدون رقم للطبعة وتاريخ.

٤٤. تفسير مقاتل بن سليمان، تأليف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ، الطبعة الأولى(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٤٥. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تأليف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٤٦. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، ط: دار الكتب العلمية – لبنان، بدون رقم للطبعة وتاريخ.

٤٧. تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون رقم للطبعة وتاريخ.

٤٨. جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٩. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تأليف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

٥٠. سنن ابن ماجه، تأليف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

٥١. سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ط: دار الحديث- القاهرة، بدون رقم للطبعة (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٥٢. سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تأليف: محمد بن إسحاق بن يسار، سنة الولادة ٨٥هـ، سنة الوفاة ١٥١هـ، تحقيق: محمد حميد الله، ط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف بالمغرب.

٥٣. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تأليف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط: دار القلم–بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٤/١٩٩٣).

٥٤. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة(١٤١٤هـ).

٥٥. مختار الصحاح، تأليف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٥٦. مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم لابن الملقن، ط: دَارُ العَاصِمَة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى(١٤١١هـ).

٥٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى(١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م).

٥٨. مفاتيح الغيب للإمام الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة(١٤٢٠هـ).

٥٩. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، تأليف: عبد الفتاح محمد العيسوي وعبد الرحمن محمد العيسوي، ط: دار الراتب الجامعية بيروت، بدون رقم للطبعة(١٩٩٦م).

٦٠. مناهج البحث العلمي: د. عبدالرحمن بدوي، ص(١٩)، ط: وكالة المطبوعات-الكويت، الطبعة الثالثة(١٩٧٧م).

٦١. موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: إشراف وتقديم: أ.د/ محمود حمدي زقزوق، ط: وزارة الأوقاف المصرية، بدون رقم للطبعة(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

٦٢. نساء النبي-ﷺ- د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ط: دار الهلال، الطبعة الخامسة(١٣٩١هـ/١٩٧١م).

فهرس الموضوعات

ملخص البحث..... ٦٤٨
Abstract:..... ٦٤٩
المقدمة..... ٦٥١
المبحث الأول: مصطلح الدعوة السرية لغة واصطلاحا..... ٦٥٧
المطلب الأول: مفهوم الدعوة لغة واصطلاحا..... ٦٥٧
المطلب الثاني: مفهوم السر لغة واصطلاحا..... ٦٦٢
المطلب الثالث: مفهوم مصطلح الدعوة السرية باعتبار التركيب..... ٦٦٤
المبحث الثاني: صور السر في ضوء مصادر الدعوة الإسلامية ٦٦٧
الأصيلة (الكتاب والسنة). ٦٦٧
المطلب الأول: سر فردي أو شخصي (الحديث المكتتم في النفس):..... ٦٦٧
المطلب الثاني: سر ثنائي:..... ٦٦٨
المطلب الثالث: سر جماعي:..... ٦٧٠
المبحث الثالث:نقض ثقافة الدعوة السرية في ضوء تاريخ الدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى..... ٦٧٣
المطلب الأول: الدعوة في البيت النبوي خلال السنوات الثلاث الأولى من تاريخ الدعوة الإسلامية. ٦٧٣
المطلب الثاني: الدعوة الجهرية خارج البيت النبوي خلال السنوات الثلاث الأولى من تاريخ الدعوة الإسلامية..... ٦٧٧
المبحث الرابع: نقض فكرة الدعوة السرية في ضوء الوقائع التاريخية..... ٦٨٦
المؤكدة لجهرية الدعوة في السنوات الثلاث الأولى..... ٦٨٦
المطلب الأول: وقائع الدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى من البعثة المحمدية في نطاق مكة المكرمة. ٦٨٦
المطلب الثاني: وقائع الدعوة الجهرية في السنوات الثلاث الأولى من البعثة المحمدية خارج نطاق مكة المكرمة..... ٦٩١
المبحث الخامس: أثر القول بالدعوة السرية على الدعوة الإسلامية في الواقع المعاصر..... ٦٩٨
المطلب الأول: الحركة القرمطية:..... ٦٩٨
المطلب الثاني: جماعة التكفير والهجرة،..... ٦٩٩
المطلب الثالث: الإخوان المسلمون والتنظيم السري:..... ٧٠١
الخاتمة ٧٠٥
المصادر والمراجع ٧٠٧
فهرس الموضوعات..... ٧١٨